مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (03) ديسمبر 2023 ص ص 473-489

جدل الأخلاق والهوية عند تشارلز تايلور

The Controversy of Morality and Identity According to Charles Taylor

فضيلة قرفي*
[1] جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)
البريد الالكتروني المهني: fa.guerfi@univ-setif2.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
05/06/2023	11/11/2023	2023/12/01

الملخص: لقد كان العصر الحديث ومع بداية فترة الحداثة الركيزة الأولى لإحداث الكثير من التغييرات التي مست جميع مجالات الحياة، فقد نادت الحداثة بالحرية، الاستقلالية، العقلانية، التقدم، كل هذا حقق للإنسان الحديث الخروج من سلطة الكنيسة وتحقيق الرقي والتنوير بفضل الثورة الصناعية، والاتجاه نحو الاهتمام بالعلم، وتجاوز الكثير من العقبات التي مهدت الطريق أمام الإنسان لتحقيق اكتشافات عظيمة جعلت منه يعيش في رخاء وسعادة. وفي المقابل ذلك نجد التطورات التكنولوجية جعلت من الإنسان مجرد شيء وآلة يتلاعب في بنيتها من يشاء، إذ وجد الفرد المعاصر نفسه يسبح في العديد من الأزمات، لعل أهمها الأزمة الأخلاقية نظرا لكونها المكون الأساسي لكينونته وهويته، وبهذا نجد الفيلسوف الكندي تشارلز تايلور قدم نقد لاذع لمفاهيم الحداثة، إذ قدم نظرية حول انتشال الإنسان المعاصر مما تعرض له وما أصابه من انتكاسات.

الكلمات المفتاحية: *العصر الحديث ؛ الحداثة ؛ الأخلاق ؛ الهوية ؛ تشارلز تايلور*

Abstract: The modern era, with the beginning of the modernity period, was the first pillar for bringing about many changes that affected all areas of life. Modernity called for freedom, independence, rationality, and progress. All of this achieved for the modern person to escape from the authority of the church and achieve progress and enlightenment thanks to the industrial revolution and the trend. Towards interest in science, and overcoming many obstacles that paved the way for man to achieve great discoveries that made him live in prosperity and happiness. On the other hand, we find that technological developments have made man a mere thing and a machine whose structure he manipulates whomever he wants. The contemporary individual found himself

* **المؤلف المرسل**

swimming in many crises, perhaps the most important of which is the moral crisis, given that it is the basic component of his being and identity. Thus, we find the Canadian philosopher Charles Taylor presenting a scathing criticism of the concepts of Modernity, as he presented a theory about extricating contemporary man from what he was exposed to and the setbacks that befell him.

Keywords: *Modern era; Modernity; Moral; Identity; Charles Taylor*

مقدمة:

لقد كان الاهتمام بالأخلاق والهوية الإنسانية يمتد إلى جذور التاريخ القديم، ولقد عنى جل الفلاسفة بالاهتمام بموضوع الهوية خاصة من ناحية التعريف، وهذا لكونها جد متعلقة بالكائن الإنساني، والتي تمثل أحد رموزه الخاصة التي تميزه عن باقي الكائنات الأخرى، فالهوية الإنسانية تشعبت بين الهوية الذاتية الخاصة بكينونة الفرد، والهوية الاجتماعية تتعلق بهوية الفرد في المجتمع وتبيان دوره الفاعل في إدارة المجتمع، والدور الذي يلعبه في تغيير وارتقاء مجتمعه، ونجد أيضا الهوية السياسية انطلاقا من كونه رجل دولة، ورجل سياسة، ولن تتحقق هوية رجل السياسة، أو هوية مصلح اجتماعي، أو هوية رجل نبيل، إلا إذا كان يتمتع بحس أخلاقي، وهذا بالضبط ما نجد الفلسفة اليونانية اهتمت به، وركزت على ربط الهوية بالأخلاق.

أما في الفلسفة الحديثة ومع فرض سيطرة الكنيسة الذي سلب للإنسان ذاته سواء هويته المكونة له أو هويته الفكرية التي طمست باسم احترام تعاليم الدين والإيمان القطعي بما جاء رجال الدين، والقضاء على كل إبداع فكري نابع من ذات مبدعة مفكرة، ليأتي عصر النور والاستنارة ليتوج بانتصار الذات والعمل على الإعلاء من حقوق الفرد والانشغال التام بالارتقاء بالهوية الإنسانية، وقد كان شعار رونيه ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود" كفيلا بخلق بداية جديدة لتوطيد منابع الأنا، والبحث عن تحقيق الذات الفردية في إطار احترتم الجماعة، وتكوين هوية ترتقي بالإنسان نحو الرقي والاستقرار والحرية التي سعى جاهدا إلى تحقيقا في عصر الظلمات.

وعلى اعتبار أن الهوية مظهر من المظاهر المكونة لحياة الإنسان، وعنصر أساسي لأصالته، وقاعدة هامة لأخلاقياته، فهي متشعبة الأطراف، حيث نجدها ترتبط بمبحث الأخلاق، وذلك لأن أخلاق اليوم تعاني من سوء التقدير والتهميش، هذا ما دفع بتشارلز تايلور Charles Taylor (1931) إلى إعادة النظر في الأخلاق من حيث قيمتها ونبلها لأن ذواتنا ذات صبغة أخلاقية، والأخلاق تعتبر أساسية لتشكل هويتنا، كما ارتبطت الهوية أيضا بالبعد الثقافي، لأن المجتمعات الحالية أضحت مجتمعات متعددة الثقافة، والهوية تتضمن كل ماهو مشترك بين جميع أفراد المجتمع، وتحمي الانتماءات الثقافية للشعوب، كما نجد أيضا أن المجتمعات الليبرالية اليوم لا تعير أي اهتمام للانتماءات الاجتماعية، والدينية، والثقافية، واللغوية المحددة لهوية الفرد، وذلك لأنها قد تتصادم مع قيم المواطنة، والمجتمع المدني القائم على الحيادية وتحقيق المنفعة، هذا ما دفع بتشارلز تايلور إلى ضرورة الإقرار بهذه الانتماءات لأنها شرط ضروري للاعتراف بهوية الفرد. وعليه نتساءل: كيف تتشكل هويتنا انطلاقا من فهمنا لذواتنا؟ وكيف حلل تشارلز تايلور تشكل الهوية الأخلاقية في زمن الأزمنة الحديثة؟ وما هي مصادر الهوية الحديثة عند تشارلز تايلور؟

نهدف من خلال بحثنا إلى تحديد هوية الفرد المعاصر في ظل وجود تعدد الهويات، والتحرر الديني، كما نسعى إلى تبيان مواطن أصالة الفرد، وسعيه إلى تمسكه بنزعته الأخلاقية، من خلال وجوده في ظل الكثير من الأزمات، أهمها الأزمة الأخلاقية التي يعاني منها الإنسان المعاصر في ظل التجاوزات البيوتكنولوجية.

1. الهوية والأخلاق، الدلالة المفاهيمية

مع انقضاء عصر الظلمات وسيطرة الكنيسة اتجه الإنسان الحديث إلى البحث عن التنوير والحرية بفعل الاستقلال من كل القيود التي كانت تلزمه، لقد اتجه إلى البحث عن كل السبل لتحقيق ذاته وتجسيد هويته على أرض الواقع، لم يبقي الفرد الحداثي حبيس

الميتافيزيقا، بل سعى إلى التحرر العقلي والبحث عن التحصيل العلمي، وذهب يصبو إلى تحقيق أخلاق فردانية تقوم على أساس احترام الفرد والجماعة، ولقد كان الاهتمام بالهوية والأخلاق جليا في العصور الحديثة.

1.1. مفهوم الهوية Lidentité / I.D

نجد أن لفظ الهُوية مشتقة في اللغة من الفعل:هوى، هوة، والهوية تصغير هُوة، وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة (منظور، د.ت، صفحة 374) أما اصطلاحا تعني بأنها حقيقة الشيء، أو الشخص التي تميزه عن غيره (العربية، 2004، صفحة 988)

1.2. مفهوم الأخلاق Moral

إن كلمة أخلاق وردت في معاجم اللغة، وفي الكثير من مؤلفات الفلاسفة والمفكرين، إذ تعرف في اللغة على أنها، جمع أخلاق، والخُلُق هو العادة والسجية والطبع، والمروءة (ابن منظور، د.ت، صفحة 86) أما اصطلاحا يسمى علم الأخلاق بعلم السلوك، أو التهذيب، أو فلسفة الأخلاق، أو الحكمة العلمية، أو الحكمة الخلقية، والمقصود به معرفة الفضائل وكيفية انتقائها، لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس، وهناك نوعين من الأخلاق:

أ- الأخلاق النسبية: وهي مجموع قواعد السلوك المقررة في زمان معين لمجتمع معين.

ب- الأخلاق المطلقة: وهي مجموع قواعد السلوك الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان (صليبا، 1982، صفحة 36)

كما توجد هناك أربع استعمالات للفظ "الخُلق" وهي:

01: يستعمل اللفظ في معني القوى الغريزية، أي الهيئة الموجودة في النفس.

02: ويستعمل أيضا للدلالة على الحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقا.

03: ويستعمل كذلك اسما للفعل الصادر عن تلك الحالة، وهنا توحيد بين السلوك والخُلق، وهذا الفعل دافعه غريزي.

04: وقد يستعمل اسما للهيئة والفعل معا، مثل: العفة، والعدالة، والشجاعة (الجابري، 2001، صفحة 36).

والأخلاق علم منبته أصولي، يعمل على تعريف ما يدور في النفس الإنسانية، وما تحمله من وظائف، ومهام، فالأخلاق علم يلجُ إلى أغوار النفس، وهذا ما يؤكد عليه ابن مسكويه من خلال تعريفه للأخلاق: "بأنها علم بأصول يعرف به حال النفس من حيث ماهيتها، وطبيعتها، وعلة وجودها، وعن سجاياها وأميالها وما تنقلها بسبب التعاليم عن الحالة الفطرية" (مسكويه، 2011، صفحة 36)

2. الفلسفة الأخلاقية المعاصرة Contemporary Moral Philosophy

إن فلسفة الأخلاق الجديدة وقيمها تهدف إلى "البحث عن نزعة إنسانية جديدة" (الحافظ، 2012، صفحة 26)، فالهدف الذي يسعى إليه فلاسفة الأخلاق يكمن في بناء قاعدة تقوم على أسس متينة، وتُمكن من إعطاء قواعد ومبادئ جديدة لفلسفة الأخلاق، والعدالة، والخير، ونجد من بين فلاسفة الأخلاق تشارلز تايلور الذي دافع عن الأخلاق من خلال ربطها بالحياة الخيرة، حيث يرى أنه من الصعب أن نُكّون صورة عن الخير وعلاقته بالهوية، إلا إذا تطرقنا إلى فهم كيفية نشوء تصوراتنا عن الخير، وهذا بين في قوله "فالذات والخير، أو أقول بطريقة أخرى، الذات والأخلاق هما موضوعان مترابطان ترابطا لا فكاك منه" (تايلور، 2014/ 1989، صفحة 41) فقد ركزت في نظره الفلسفة الأخلاقية المعاصرة وخاصة الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية تركيزا ضيقا على الأخلاق، وذلك من خلال أنها ركزت على ما يكون فعله صحيحا، وليس على ما يكون خيرا، أي أنها أهملت أي نظرية خاصة بالخير، ولم تهتم بالخير كجانب من جوانب الفلسفة الأخلاقية المعاصرة، وبذلك سعى إلى توضيح كيف تم هذا التجاهل في الفلسفة الأخلاقية المعاصرة بقيمة وعينا الأخلاقي؟ ويجيب على ذلك من خلال قوله أن "نشعر بأن المطلوب هو أن نكون متسقين منطقيا في ردود أفعالنا الأخلاقية" (تايلور، 2014،

صفحة 46) فتايلور يسعي إلى التفكير فيما يجعل حياتنا ذات معنى، وليست مجرد حياة فقط، وأن ردود أفعالنا الأخلاقية في رأيه تسير باتجاهين:

الاتجاه الأول: أن الغرائز شبيهة بحبنا الأشياء الحلوة، أو كرهنا للمواد التي تبعث على التقزز، أو خوفنا من السقوط.

الاتجاه الثاني: تبدو مشتملة على مزاعم ضمنية أو حريصة، تتعلق بطبيعة الكائنات البشرية ومرتبتها (تايلور، 2014، صفحة 44) وهذا الطرح الثاني يمثل حسبه ارتقاءً انطولوجيا للبشر أو تأكيدا لها، وذلك لأن الشرح الأنطولوجي يلعب دورا هاما في دفعنا إلى الإفصاح عن غرائزنا الأخلاقية. وعليه فقد رفض وبقوة أن تؤسس الأخلاق على مجرد الإجراء العقلاني اللامنحاز، لأن الاهتمام بصورية الإجراء تعني عزل الإنسان عن دوافعه الحقيقية، وبواعثه الذاتية (القادر، 2010، صفحة 248)

كما يرى أيضا أن الحدوس الأخلاقية التي تتصف بالعمق والقوة والشمولية عميقة لدرجة دفعتنا إلى اعتبارها متجذرة في الغريزة، خلافا للحدوس التي تبدو بمقدار كبير نتاجا للتربية والتعليم وهي ضميرنا الطبيعي، وإذ أردنا أن نعرف الشيء الحقيقي الذي يجعل البشر في مرتبة يستحقون فيها الاحترام والتقدير، وجب أن نضع نصب أعيننا معنى الشعور بمعاناة إنسانية، وأن نشعر بالحقائق اتجاه الحياة الإنسانية، وذلك لأنه: "علينا أن نتعامل مع غرائزنا الأخلاقية العميقة، ومع شعورنا بعدم إمكان استئصالها المفيد، وأن الحياة الإنسانية يجب احترامها بوصفها تمثل نمطا من الوصول إلى العالم، حيث تدرك مزاعمنا الأنطولوجية، ويمكن بحثها عقليا وتمحيصها" (تايلور، 2014، صفحة 48)

وفي نظر تايلور فإن الوهم الذي يتحكم في طبيعة الانطولوجيا الأخلاقية، هو وهم إيديولوجي يتعلق بالطبيعة التعددية للمجتمع الحديث، وكذلك الوزن الكبير للإبستيمولوجيا الحديثة، وأيضا الطبيعة المؤقتة الدقيقة وغير يقينية، جميعها ساهمت في طمس معتقداتنا الأخلاقية، ولذلك نجده يرى أن العالم الذي تسوده الأخلاق اليوم يختلف اختلافا كبيرا عن

العالم الأخلاقي في الحضارات القديمة، خاصة في فكرة الاحترام، وهذا بين في قوله: "إن الغرب الحديث، أي تلك الحضارات العالية تمثل في أن صياغتها المفضلة لذلك المبدأ، وأعنى مبدأ الاحترام، كانت بلغة الحقوق، وصار ذلك مركزيا في أنظمتنا القانونية، وانتشر بهذه الصورة حول العالم" (تايلور، 2014، صفحة 48) أي بمعنى الحديث عن الحقوق الإنسانية سواء كانت طبيعية أو شاملة، لأنه لابد من ربط احترام الحياة والكرامة كصفتين إنسانيتين بفكرة ما يسمى بالاستقلال الذاتي. والأخلاق بالنسبة لتايلور عادة ما تعرف على أنها "احترام الآخرين"، ذلك لأننا لكي نفهم عالمنا الأخلاقي وجب علينا أن نفهم كل الأفعال والتصورات والأفكار التي تحيط بشعورنا باحترام الآخرين، وما نملكه من أفكار حول الحياة الخيرة، فلكي نفهم أحكامنا الأخلاقية في نظره وجب بحثها في أطر وذلك لأن: "الأطر توفر الخلفية الظاهرة أو الضمنية لأحكامنا الأخلاقية... فلفظ إطار معناه شرح ما له معنى في استجاباتنا الأخلاقية" (تايلور، 2014، صفحة 70)

كما نجد أيضا أن بروز وتعالي الفردانية، واستقلالية الفرد عن الآخرين وعن إرادته، دفعت بتايلور إلى نقد الاتجاه الفرداني، وهذا الأمر هو ما دفع به كذلك إلى نقد النزعتين السائدتين في الفلسفة الأخلاقية الحديثة، وهما:

1-النزعة الاختزالية الطبيعية: التي نجدها ترد السلوك الإنساني إلى قوانين الطبيعة، وبذلك تمحو البعد الأخلاقي في الإنسان.

2-النزعة الفردانية: "النفعية، والكانطية"، اللتين تتعارضان في المضمون، ولكنهما تتفقان في الخارج من حيث السمة الانتقائية (القادر، 2010، صفحة 249)

3. الهوية الأخلاقية Moral Identity

إن الأساس الذي يسعى من خلاله تايلور لفهم الخير لا يتوقف على مجرد التعيين والسرد، وإنما يتعدى إلى إقامة تأسيس فلسفي قائم على مبدأ مؤداه أن الأخلاق محايثة للوجود الإنساني، وهي التي تمنح المعنى للحياة الإنسانية، وان الإجابة على بعض الأسئلة

التي تعتبر أساسية للوجود الإنساني، مثل: من أكون؟ ما هي الحياة التي استحق أن أعيشها؟ ما هو المكان الذي يليق بي؟ أيُ الأحلام التي يجب أن أسعى جاهدا لتحقيقها؟ هي التي تحدد هويتي، هويتنا بالطبع التي تعرف بمجموعة من الالتزامات، التي تحدد الإطار الذي يمكنني من خلاله أن أحدد توجهاتي، وما هو خير؟ وما هو شر؟ وما الشيء القيم؟ والشيء المحتقر؟ وما يجب عليا فعله؟ جميع هذه الأسئلة تتصل بهويتنا، حيث يقول: "قد يرى الناس أن هويتهم تعرف جزئيا، بالتزام أخلاقي، أو روحي ما" (تايلور، 2014، صفحة 72).

كما يوجد بعض الناس يعاني بما يعرف "أزمة هوية"، أي أنهم غير قادرين على معرفة هوياتهم الذاتية، أي لا يستطيعون الإجابة عن السؤال من هم؟ وهذا ما يرجعه تايلور إلى الافتقار لوجود إطار يحددون في داخله معنى ثابتا للأشياء، ورؤية واضحة تجعل الحياة ذات معنى، فهناك إذن رابطة قوية جوهرية بين الهوية والتوجه "فإن تعرف من تكون معناه أن تكون موجها في فضاء أخلاقي، فضاء فيه تطرح أسئلة عما هو صالح أو سيئ، ما يستحق عمله، وما لا يستحق عمله" (تايلور، 2014، صفحة 73) فنحن في حاجة ماسة إلى هوية ورؤية واضحة، وذلك لأن أزمات الهوية لا تنحصر في الجهل بالهوية الذاتية فقط، بل تمتد لتشمل مظاهر عدة من بينها: سيادة الشعور بعدم وجود فرصة للاختيار، وسيطرة اليأس على لغة الحوار والفعل، وانتشار الغضب العام، العنصرية، عدم احترام ممارسة الشعائر الدينية، ولذلك نجد "أن أزمة الهوية هي أزمة ثقافية اجتماعية بالمقام الأول" (سيبوني، 2011، صفحة 115)

فلكي نفهم وندرك هوية ما حسب المفكر الفرنسي أليكس ميكشيللي Alex Mucchielli سواء كانت فردية أم جماعية أو ثقافية، لا بد لنا من معرفة النواة الأصلية لهذه الهوية لأنها تمثل وحدة المشاعر الداخلية التي تجعل كل شخص ينفرد بها عن غيره من الكائنات الأخرى، حيث نجده يقول "لا يمكن لنا تعريف هوية كائن اجتماعي ما من

غير العودة إلى الشعور بالهوية الذي يوجد وبشكل طبيعي في وعي الكائنات العاقلة" (أليكس، 1993/1993، صفحة 12)

لكن بالنظر إلى الواقع حسب تايلور نجد أن هويتنا أعمق بكثير، ومتعددة الجوانب، فيجب على المرء وفقا لذلك أن يدرك أن الهوية مسألة ذات خير قيم جدا، ويجب على المرء أن يكون مخلصا لها.

كما أن هناك مبدأ آخر مؤسس لمفهوم الخير ألا وهو مبدأ الأصالة، حيث يقر تايلور بأن مفهوم الأصالة، مفهوم جديد وغريب على الثقافة الحديثة، حيث نشأ مع نهاية القرن الثامن عشر، ويحمل في طياته فكرة مفادها أن الإنسان يتمتع بحس أخلاقي، أي أنه يملك استعدادا فطريا لما هو خير وشر، وهذا ما يبين أن أخلاقيات الأصالة ليس لها تاريخ، أو منشأ عرقي أو بدائي، أي أن هذا المفهوم قد تولد مع عصر التنوير، وخاصة مع فكرتي: الحساب والعقاب. وهذا ما نجده بين في قوله ''إن إحدى طرق وصف تطور أخلاقيات الأصالة، هي رؤية نقطة البداية في تصور القرن الثامن عشر، وهي أن البشر قد وهبوا الحس الأخلاقي، والشعور الحدسي بما هو صواب، وما هو خطأ، وقد كانت النقطة الأصيلة لهذا المبدأ هي مناجزة الرأي المنافس، الذي مفاده بأن معرفة الصواب والخطأ مسألة تتعلق بحساب العواقب" (تايلور، 2021، صفحة 49)

كما يؤكد أيضا على أن الخير والشر فكرتان مرتكزتان في مشاعرنا، وهذا يعني أن الأصالة ارتبطت في ظهورها بالمعنى الأخلاقي الإنساني، أي أن منبع الأخلاق هو الإنسان، حيث يقول "فالأخلاق لها بمعنى ما صوتا في داخلنا... لأنه يخبرنا ما هو الشيء الصحيح للقيام به" (Taylor, 2003 , p. 26)

ويَعتبر جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau أول من أحدث تغييرا في مفهوم الأصالة، وذلك من خلال دعوته الدائمة إلى ضرورة إتباع صوت الطبيعة الذي

يكمن في ذواتنا، وأن هذا الصوت يتم خنقه نتيجة اعتمادنا على الآخرين، وأن خلاصنا الأخلاقي يأتي كلما شعرنا بوجودنا الأصيل.

لقد تعمق الشعور بالأصالة بالنسبة إلى تايلور من خلال جهود الفيلسوف والشاعر الألماني يوهان جوتفريد هردر Johann Gottfried Herder، وخاصة في فكرته القائلة: "أن كل واحد منا لديه طريقة أصيلة لكونه إنسان"(Taylor, 2003, p. 28) حيث ترسخت هذه الفكرة ترسخا عميقا في الوعي الحديث لأنها فكرة جديدة، وذلك لأن "في مطلع القرن الثامن عشر لا أحد يعتقد أن الاختلافات بين البشر لها هذا النوع من الأهمية الأخلاقية" (Taylor, 2003, p. 28)ذلك لأنه قبل القرن الثامن عشر كانت الحروب والصراعات منتشرة، وكذلك هيمنة وسيادة الكنيسة، وسيادة الظلم، وانتشار المعاناة و الألم، لذلك لم يكن الأفراد يولون أي أهمية للاختلافات الأخلاقية. لذلك وجب على الإنسان أن يعيش وفيا ومخلصا مع نفسه لأنه وإن لم يعش مخلصا فإنه يفقد بُعده الإنساني، وقيمه الإنسانية، وأن لا يعيش مقلدا لأي شخص آخر، وهذا كله يؤكد على أهمية ارتباط الأخلاق بالذات، أو الأخلاق بالنفس، وبالطبيعة الداخلية للإنسان، التي تكون في الغالب معرضة لخطر الضياع، وذلك نتيجة الضغوط الخارجية، والذين فقدوا القدرة على الاستماع إلى الصوت الداخلي وجب عليهم أن يلجئوا إلى إدخال مبدأ الأصالة، حيث يقول "لكل صوت من أصواتنا لديه ما يقوله بطريقته الخاصة... فأنا لا أستطيع العثور على نموذج للعيش خارج نفسي، وإنما يمكن العثور عليه فقط في الداخل (Taylor, 2003, p.29) وبالتالي فإن على الإنسان تجنب جميع أشكال التدهور، وأن يكون وفيا مع ذاته "ومخلصا لأصالته التي لا يكتشفها ولا ينطق بها إلا الأنا، وأن الإنسان عندما يدرك أناه، فإنه يتحدد ويتعين ويستطيع أن يقرر الخير الخاص به" (بغوره، 2014، صفحة 57)، وهذا ما عبر عنه تايلور بعبارة "العثور على الوفاء الخاص بك".

فانطلاقا من إدراكنا التام بامتلاكنا ذاتا تميزنا عن غيرنا، فإن هويتنا تُعرف عن طريق قيمة الأشياء وأهميتها عندنا، غير أنه لا يمكن أن نحقق ذواتنا إلا إذا سعينا وتوجهنا نحو الخير، كما أن ذواتنا تتحدد بواسطة محادثات تتم مع الآخرين، وأن معنى الخير، ومعنى الذات مفهومان جد متمازجان، ومرتبطان لأنه "بغية أن يكون لنا هوية، نحتاج إلى توجه نحو الخير" (تايلور، 2014، صفحة 126)، فالهوية الشخصية في نظر تايلور هي هوية الذات، وذلك لأن الذات تشمل هويتنا مع مرور الزمن، ولأن الذات لا تعيش منعزلة، ولا قيمة لها في ذاتها، بل هي في علاقة يومية مع الآخر، ويعد هذا شرطا أساسيا لاحتضانه، لأن تقدير الذات يتجلى في احترام الآخر (مهنانة والمحمداوي، 2003، صفحة 220)

كما أن المرء في نظر تايلور يحتاج أن يفهم نوع التبادل الاجتماعي، وما هي الأهداف المشتركة بينه وبين الحس الاجتماعي، وأن يكون لديه إحساس بإدراك الخير، والقائلين بأن الخير والصواب أمران نسبيان وليس حقيقيان، معناه الوقوع في حالة من الفوضى، والأخلاق في نظره نوع من ترتيب الخيرات العليا، والقيم التي نرتبط بها بشكل عميق، ذلك لأن الخير يحتل مكانة بارزة وذات أهمية في حياتنا، فالتوجه نحوه يضفي على حياتنا معنى وشعور بالكمال والاستقلال، وهذه الخيرات يطلق عليها تايلور اسم "الخيرات الفوقية"، ويؤكد على هذا بقوله "إن التوجه نحو الخير ليس بالأمر الاختياري الزائد، وليس بالشيء الذي يمكن أن ننخرط فيه أو نمتنع عنه إراديا، بل هو شرط كينونتنا ذواتا، وبهويات" (تايلور، 2014، صفحة 126)

وبهذا يرى تايلور أنه من المستحيل أن نفهم حياتنا الأخلاقية من دون وجود خير فوقي، ويؤكد على أن انعدام توجهنا إلى الخير يدفعنا إلى رؤى جد مختلفة، فبعض المثل العليا الأخلاقية كالحرية، والغيرية، والعالمية، تحتل في نظره مركزا هاما في أخلاق الثقافة الحديثة، فكونك حرا معناه أن تكون قادرا على تحمل المسؤولية بشكل كامل، وان

تعتمد على ذاتك بصفة خاصة، فما دمت حرا فأنت مسئول، وعليك تحمل نتائج أفعالك، فتايلور لطالما آمن بأن الفرد الغربي تأسس ونشئ في مجتمع متحضر تسوده قيم الحرية، والاعتماد على الذات.

4. مظاهر الهوية الحديثة عند تشارلز تايلور

لقد تميزت الهوية حسب تايلور بالتعقيد والتنوع، وساهم في نشأتها الكثير من فلاسفة خاصة فلاسفة الفلسفة الحديثة، وبهذا تميزت حسبه بثلاث مظاهر رئيسية وهي: الجوهر الداخلي الحديث، التأكيد على الحياة العادية، صوت الطبيعة.

1.4 الجوهر الداخلي

لقد نشأت الهوية في الفترة الحديثة نتيجة عدة عوامل وممارسات تمثلت في الممارسات الدينية، والسياسية، والاقتصادية، وإنشاء الأسر وتكوينها، والتقلبات الفكرية والفنية، التي ساهم التداخل فيما بينها في تكوين صورة واضحة عن الذات وعلاقتها بالخير، وأن الهوية تتشكل انطلاقا من إدراكنا التام بأن لنا ذواتا وأعماق داخلية تكشف عن حقيقة هويتنا القابعة داخل ذواتنا، وأن لنا كينونة تميزنا عن باقي الكائنات الأخرى، وهذا ما يحيلنا إلى التمييز بين نمطين: نمط داخلي يرتكز على ما يعبر به الفكر، ورغبات وتصرفات الإنسان الناتجة عن منبع داخلي أصيل، ونمط خارجي يتمثل في التعبير بالكلام والعمل، وبهذا فالنمط الداخلي هو ما يوصف حقيقة ذواتنا، ويكشف عن خبايا هويتنا عن طريق الكلام، وهذا ما يثبت أننا كائنات لها أعماق داخلية، تتكشف بواسطة الكلام الذي ينقلها إلى الخارج، وتصبح تعبر عن هويتنا، ولفهم معنى الجوهر الداخلي أكثر تطرق تايلور إلى الحديث عن السيطرة الذاتية عند أفلاطون، الإنسان الداخلي، العقل المتحرر عن ديكارت، الذات الدقيقة عند لوك.

تتم السيطرة على الذات عند أفلاطون بفضل العقل إذ أن "ما نكسبه بالفكر أو العقل هو السيطرة الذاتية، فالإنسان الصالح هو "سيد نفسه" أو أقوى من نفسه، وقد رأي

أفلاطون عدم معقوليته هذا التعبير، إلا إذا أضاف الإنسان إليه تمييزا بين أجزاء عليا وسفلى للنفس، فسيطرة الإنسان على نفسه معناها أن يحكم الجزء الأعلى من النفس الجزء الأدنى، أي أن يحكم العقل الرغبات (تايلور، 2014، صفحة187) وبسيادة العقل ينتج عنه وجود أفراد صالحين، وبالتالي تتراجع الرغبات عن السيطرة، ومن نهاية عالم الفوضى، لأن الروح الخيرة حسب تايلور تتميز بالانسجام وبسيادة النظام، واستمرارية التناسق، فحين ينظر إلى الروح السيئة التي تنساق وراء رغباتها، نجدها تعيش في صراع دائم من النزاع والتضارب، وينتج عن سيطرة العقل أيضا السكينة والهدوء، وهذا ما يخلق لنا أشخاص ذي كفاءة قادرين على التمتع بما يسمى "الامتلاك الذاتي، والتمركز حول نفسه والمعرفة الكافية بها، بينما ينتج عن سيطرة الرغبة الانزعاج، القلق، الذهول، الغباء.

يأكد تايلور على أن أفلاطون من الآوائل الذين قدموا صورة واضحة عن وجود نظرية أخلاقية، وأن اتباع العقل والابتعاد عن العاطفة هو الذي يخلق لنا حياة خيرة، ويدفع بنا إلى السير نحو تحقيق الخير ''فالعقل هو، وفي ذات الوقت قدرة على رؤية الأشياء بشكل صحيح، وحالة رباطة الجأش، فأن يكون الشخص عقليا معناه أن يكون سيدا لنفسه'' (تايلور، 2014، صفحة 189) فالعقل هو النظام الصالح الذي يوجه حياتي نحو فعل الخير، ويحقق لي غاياتي التي أصبو إليها، ويرسم طريق واضح للحياة بعيدا عن سيطرة الأهواء.

في حين نجد أوغسطين يأكد إلى أن الحقيقة تقبع في الإنسان الداخلي، وعلى الإنسان البحث عن الحقيقة في داخله، لأن في الداخل تكمن معرفة الطريق إلى الله، ومنه تنبع الأخلاق الحقة التي يسير وفقها الفرد ويتغذي بها.

كما قدم رونيه ديكارت بدوره أيضا صورة جديدة عن تصوره للعقل، وأن الأخلاق جوهرها العقل، وأن المعرفة التامة بالخارج لن تتحقق إلا بوجود أفكار تكمن في الداخل، ويتم ذلك بحكم تطبيق قاعدة الانتقال من البسيط إلى المركب وفق نظام خاص، إذ يدعو

ديكارت إلى التحرر من العالم والجسد، فأساس الأخلاق عنده يقوم على المعرفة الجوهرية بالعقل الذي يدفعنا بدوره إلى التحرر.

وبهذا كان الفضل عظيم لديكارت في نظرياته من تحرير الشخص، وأصبح ذا سلطة على العقل، وقد تجسد هذا الشخص في الذات الدقيقة مع جون لوك التي دفعت بهذا التحرر إلى أبعد الحدود، فقد شمل المعرفة وغيرها...، إذ أننا نجد جون لوك قد تجاوز ما قال به ديكارت، إذ رفض وجود أي أفكار فطرية نابعة من العقل لأنها مجرد افتراضات وهمية، وبهذا اتجه صوب العلم ليؤسس نظرية حول الطبيعة البشرية، نظرية المعرفة، والأخلاق.

ولقد لعب القانون الطبيعي دور في فكر جون لوك في تكوين الذات، وهو قانون من وضع الإله، باعتباره المشرع الأعلى لكل الأوامر الأخلاقية، وبهذا ساهم فلاسفة الفلسفة الحديثة وخاصة كل من ديكارت ولوك من خلال التأكيد على التحرر من تكوين صورة واضحة المعالم للكائن البشري، وهذا بالفعل ما قدم نظرية جلية عن هويته ككائن مفكر يتمتع بحس أخلاقي سواء كان نابع من الفكر أو من العمل أو من المشرع الأعلى، وهذا ما جعل الإنسان يدرك إدراكا تاما بأن له ذاتا تتواجد في أعماق النفس تميزه عن غيره من بني جنسه. وبهذا نجذ أن خطاب الهوية في نظر تايور يتميز بكونه "خطابا متشابكا، لأنه يتحرك في مجالات متعددة" (تمسك، الحاج، و لطفي، 2016، صفحة 21)

2.4 التأكيد على الحياة العادية

يمثل التأكيد على الحياة العادية ثاني مظهر من مظاهر الهوية الحديثة، ويصف تايلور تعبير الحياة العادية بأنه "يصف تلك المظاهر من الحياة الإنسانية الخاصة بالانتاج وإعادة الانتاج، أي العمل، ووضع الأشياء اللازمة للحياة، ولحياتنا بوصفنا كائنات جنسية، الشاملة للزواج والأسرة" (تايلور، 2014، صفحة 323) لأن الانتقال من نظام الحياة التراتبية إلى الممارسة العادية للحياة، والقيام بجل النشاطات العملية يجعل من الأفراد

يشعرون بمعنى وجود لحياتهم، وأن قيمهم العليا لن تتحقق أصالتها وثباتها إلا بتحقيق المثل الأدنى من الحياة، والاهتمام بالأشغال اليومية التي تكسب الفرد بدوره الثقة في النفس، وتجعله على دراية كافية بمعالم هويته، إذ أصبحت حياة الإنسان اليوم تدور تقريبا في دائرة واحدة وهي: العمل والانتاج والزواج والسعى إلى تكوين روابط أسرية ناجحة، والعمل على تسخير العلم لخدمة الحياة العادية، وتوجيهها لتحقيق مكاسب حقة، وبالتالي تسخير الطبيعة لخدمة الإنسان، وتسخير الإنسان لخدمة الإله من خلال تجنب ارتكاب الرذائل والابتعاد عن الفسق بأنواعه والعمل على تمجيد الجانب الروحي بطاعة الإله والانصياع لأوامره، وقد كان الهدف الذي سعى إليه تايلور من التأكيد على الحياة العادية هو ربط الأخلاق التي تميز الحياة العادية بفكرة التحرر العقلي.

3.4 الانصات لصوت الطبيعة

يعد ثالث مظهر من المظاهر المميزة للهوية الحديثة، فالانصات لصوت الطبيعة هو اللذة الحقيقية التي تجعل الفرد يشعر بالأمان والطمأنينة والحث على الانصات لصوت الطبيعة، لأنها تنفذ إلى أعماق النفس البشرية، إذ نجده يعد الطبيعة منبعا أخلاقيا داخليا، فالطبيعة تحقق السعادة الدنيوية للإنسان لانها تطرد منه كل المخاوف والوساوس التي يعيشها، وتنجلي الهم عن روحه، وتزيح القلق عن فكره، وتجعل منه أكثر رأفت وتسامحا، وتساهم بكل الطرق في تكوين هويته وزرع المنابع الأخلاقية التي تجعل منه فردا سويا متقبلا لنفسه وللآخرين.

5. خاتمة

إن اهتمام تشارلز تايلور بالهوية والأخلاق أحدث تميزا كبيرا في الفلسفة المعاصرة، نظرا لإسقاطها على مختلف جوانب اهتمامات الفرد، من خلال أن مفهوم الهوية يساهم بشكل كبير في الغور في النفس البشرية، فهي تتساءل عن وجودنا ضمن "النحن"، بغية توجيهنا أخلاقيا، والتحكم في نفوسنا الأخلاقية، فالهوية قادرة على إعادة

تشكيل ذواتنا، وتحقيق أصالتها، واعترافها بذاتها ككيان أخلاقي له حس الجماعة، من خلال تأكيده على مفهوم الاعتراف كسبيل لتحقيق الذات في ظل وجودها في جماعة ما، وتجسيد قيمة الاحترام بغية تنظيم العلاقات بين الأفراد بعضهم البعض. ومن النتائج التي يمكن تحصيلها:

جعل تايلور من الخير الأساس الأول الذي تنبني عليه منابعنا الأخلاقية، والمؤسس الفعلي لهوية تتكشف فيها ذواتنا، ونصبح على دراية كافية بما يجول في أعماق النفس.

لقد قدم تايلور رؤية تختلف عن معاصريه بخصوص فلسفة الأخلاق، إذ ربط الأخلاق بالهوية، وجعل المنفذ الحقيقي لتحقيق هوية الأفراد هو الشعور بالأساس الأخلاقي المتين والفاضل، الذي يتحقق بوجود أشخاص على دراية كافة بأن لهم ذواتا يسعون من خلالها إلى تحقيق هوياتهم التي تقوم على أساس ديني أخلاقي.

سعى تايلور إلى تقديم صورة واضحة عن نشأة الهوية الحديثة، والتتبع الدقيق لمسارها من زمن أفلاطون وصولا إلى القديس أوغسطين، مرورا بديكارت وجون لوك إلى غاية عصر ما بعد الحداثة، كما ركز على تبيان أهمية الحياة العادية في تلقين الأفراد فن العيش الكريم، وضرورة الإنصات إلى صوت الطبيعة باعتبارها المكمل الحقيقي لسعادة الإنسان.

5. قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

ابن مسكويه. (2011). *تهذيب الأخلاق* (الإصدار 1). (عماد الهلالي، المترجمون) منشورات الجمل.

ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

اسماعيل مهنانة، و على عبود المحمداوي. (2003). *موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج* (الإصدار 1، المجلد 2). بيروت: منشورات الاختلاف.

الزواوي بغوره. (2014). مسألة الخير في فلسفة الأخلاق المعاصرة. *مجلة ألباب* (1)، 57- 71.

بليمان عبد القادر. (2010). الأخلاق المعاصرة وصراع المرجعيات: بين الكانطيين الجدد والأرسطيين الجدد. *مجلة أوراق فلسفية* (26)، 248- 262.

تشارلز تايلور. (2021). *أخلاقيات الأصالة* (الإصدار 1). (أحمد العز، المترجمون) بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

تشارلز تايلور. (2014). *منابع الذات تشكل الهوية الحديثة*. (حيدر حاج اسماعيل، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي* (الإصدار 1). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

رضوان عبير سيبوني. (2011). *أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية* (الإصدار 1). بيروت: دار السلام للطباعة والنشر.

مجدي عبد الحافظ. (2012). التيارات الفرنسية المعاصرة. *مجلة أوراق فلسفية* (33)، 26-40.

مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط* (المجلد 2). مكتبة الشروق الدولية.

محمد عابد الجابري. (2001). *العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة الغربية* (الإصدار 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

مصطفي بن تمسك، دريدي مبروك، دواق الحاج، الحجلاوي لطفي. (13 مايو, 2016). الدين وقضايا المجتمع الراهن. *الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الابداع* ، الصفحات 13- 25.

ميكشيللي أليكس. (1993/1993). *الهوية* (الإصدار 1). (علي وطفة، المترجمون) دار الوسيم للخدمات الطباعية.

المراجع باللغة الأجنبية:

Taylor, C. (2003). *The Ethics of Authenticity* (11 ed.). United states of America.